

الموقف المسؤول امام التاريخ

أيها الرفاق^(١)

أشعر دوماً بسعادة عميقة عندما التقى بالرفاق المناضلين على مختلف ساحات النضال، هذه اللقاءات تؤكد لي قوة الحزب، أصالة الحزب، صدق منشئه والدوافع التي دفعت إلى تأسيسه. عندما أرى الرفاق بهذا العدد، بهذه الكفاءات، بهذا الشباب المتجدد، بعد عشرات السنين تتعزز ثقفتي بحزبنا وثقتي بمستقبل امتنا، سوف استمع إليكم بعد هذه الكلمة، سوف استمع بشوق إلى تجربتكم، إلى ملاحظتكم لآزداد قرباً من حياة الحزب، من ممارساته اليومية، من تفاعله مع الواقع الحي وازداد قرباً من الأجيال الجديدة وافكارها وطموحاتها وهمومها لكي أشعر بهذه الحياة المتجددة في الحزب وفي الأمة.

من الطبيعي لرجل مثلي وفي سني تجاوز الحاجات العابرة ان أتذكر الماضي، أن أتذكر السنين الأولى التي بدأ فيها الحزب يبشر بافكاره ويناضل في سبيل تلك الافكار، أو أن أتذكر السنين التي سبقت ظهور الحزب والتي كانت بمثابة مخاض وتلمس طريق وحوار داخلي مع النفس ومع الرفاق الاقربين إلى أن توضحت معالم الطريق، ويمكننا أن نعترف بهذا الحزب الذي هو من الأمة، أن نعترف به لأنه لم يكن من النوع الرخيص، لم يكن تلبية لحاجات عابرة، لم يكن معبراً عن طموح شخصي، كان منذ البداية حزبا تاريخيا، بمعنى انه وضع التاريخ امامه ووقف امام التاريخ ووقفه مسؤولية وفكر وصمم على اساس العمل الطويل لاجيال عديدة، لأنه انما نشأ من

(١) حديث في اللقاء مع الرفاق مسؤولي منظمات خارج الوطن بتاريخ ٣/٨/١٩٨٠.

تاريخ الامة العربية، من تراثها، فكان من الطبيعي ان يشعر ويفكر ويخطط بمقياس
ما للامة العربية من وزن تاريخي، من وزن حضاري .

أبها الرفاق

لا يمكن أن نتذكر هذا الزمن الاول هذه السنين التي أصبحت بعيدة دون أن
نتذكر وان نذكر حدثا جلالاً، حدثا بعثيا وقوميا، جرى قبل فترة وجيزة هو استشهاد
رفيقنا الاستاذ صلاح البيطار، لا أريد أن يغلبني الحزن لان هذا الحدث هو أكبر من
الحزن، انه ليس استشهادا عاديا وليس مجرد جريمة ارتكبتها المجرمون القتلة في
النظام السوري، انه من جهة تنويج لحياة كلها نضال وأخلاق، وبيدولي انه كان
الخاتمة الضرورية لهذه الحياة، الخاتمة الحتمية لانه جاء كالثمرة الناضجة لم يأت
صدفة ولم يرتجل ولم يفتعل، فالاستاذ صلاح البيطار لم يكن في تقديري يجهل ما
كان ينتظره ورغم ذلك مضى في طريقه يكتب الصفحة الاخيرة من هذا الحب
العميق لامته، من هذا الوجد الذي كان يعتلج دوما في قلبه نحو الشعب العربي،
وكان ثباته واصراره رغم معرفته بالخطر كان، كما قلت في الاول، تنويجا لحياة مليئة
غنية صادقة، لم ترد أن تنتهي بالموت البطيء وباعتلال الجسم وانما بعمل يختصر
العمر كله ويكتف النضال والاخلاص كله في لحظة واحدة خالدة تكون لها القدرة
على الاشعاع وعلى التوليد والخلق .

ماذا تنتظرون مني أن أقدم لكم، وان يكون شيئا ذا نفع، أحسن ما استطع
تقديمه لكم هو تذكيركم بهذه الروح التي ولد منها البعث، ان اذكركم بقوة الروح
بصورة عامة ليس فقط بالنسبة الى البعث، ولكن في كل الحالات وفي كل الازمان
وعند كل الاقوام والروح هي الاقوى دوما، حزب البعث، حزبكم نشأ نشأة بسيطة
متواضعة وبشر بهذه الافكار الكبيرة وتصدى للحكومات وللحزاب المناهضة له ولم
يكن يملك أو يستعمل عصا بل قطعة السلاح، لم يكن لديه لا سلاح ولا حتى أقل
من السلاح . قوة الروح، قوة الايمان، قوة التصميم، هذا هو المنشأ ويأتي يوم يواجه
الحزب امورا لا بد منها، واقعا قاهرا، فيرى انه لا بد له ان يتسلح فتسلح، وان لا بد
له من وسائل يستطيع بها ان يحمي نفسه، ان يدافع عن فكرته وعن رسالته أمام
شراسة الاعداء من كل جانب ولكن بعد أن بنى تراثا ورصيда واساسا عميقا من تلك

القوة الاولى ، القوة الروحية ، لم تعد القوة المادية بقادرة ان تفسد عليه تكوينه وسلامة تأسيسه ، الروح تخلق المادة لا العكس .

ان دعوتكم من قبل القيادة تختلف هذه المرة عن دعوة القيادة لكم في المرات السابقة ، اذ ان العامل الرئيسي ، الدافع الرئيسي للقاء القيادة بمندوبي المنظمات خارج الوطن ، هو طرح سؤال ، والتعاون بين القيادة وبين مندوبي المنظمات على الاجابة عنه ، نتيجة تبادل الاراء والاطلاع على نشاط المنظمات والواقع الذي تعمل ضمنه ، السؤال الذي من اجله دعيتم ، ومن اجل ان تساهموا في ايجاد الجواب عليه ، هو لماذا لا ينتشر حزبنا بين اوساط الطلبة العرب ، كما كانت حاله في الخمسينات؟ . .

ممكن القول بأن الظروف العربية والدولية في الثمانينات او السبعينات مختلفة عن تلك التي كانت في الخمسينات ، ولكن هذا جزء من الجواب ، ويبقى ان نتساءل ونبحث عما اذا كان الحزب نفسه لم تعد فيه حرارة الخمسينات ، لم يعد فيه ذلك الاندفاع ، وتلك الجاذبية ، وذلك التأثير القومي الذي كان له .

الماضي مضى ولن نقعد لتتلهف على الايام الماضية ونأسف ، امامنا ظروف جديدة لنواجهها كما هي ، ولكن لنرى كيف نستطيع ضمن هذه الظروف الجديدة ، ان نبعث الروح ، ان نزيل العوائق امام هذه الروح الاولى ، لكي تعود فتظهر المنظمات ، يجب ان تبتعد عن السفارات وعن عمل السفارات وان تنغمس قلبا وقالبا ، بالمظهر وبالحيقة ، في الوسط الطلابي ، الشعبي ، النضالي ، وان تعيش الهموم القومية بالوسائل التي تتوفر للمناضلين والتي لا تولد فيهم الاسترخاء والاتكال ، أي بالحد الأدنى من الوسائل ، كما كان الحزب في الماضي ، أن يكون الاعتماد على الفكر ، وعلى الثقافة ، وعلى الحماسة والايمان ، والاندفاع واعطاء المثل الصالح ، والتبشير بالكلمة الطيبة ، وبالتعامل الاخوي ، مع الاخرين حتى المعادين اذا كان ثمة سبيل الى كسر جدار الكراهية بيننا وبينهم لكي يسمعوا صوتنا ولكي يصغوا الى حججنا .

الحزب بنى هذه التجربة في العراق وهو معتز بها ، ومخلص لها ، ويتمنى لو ان كل العرب يقربون منها ، لكي يستمدوا منها الامل والتفاؤل بالمستقبل . ولكي يعرفوا

ان ثمة شيئاً جديداً ولأول مرة قد بني على ارض عربية، وهو ينمو يوماً بعد يوم، وسنة بعد سنة، فمن الطبيعي ان تكونوا مشبعين بهذا الشعور وان تشعروا بالحاجة الى نقله الى الاخرين من الشباب العربي والى العرب المتواجدين في البلدان التي تعملون فيها، ولكن هذا لا يجوز ان يكون كل عملكم وان يمنعكم من التعاطف مع احوال وظروف وهموم اخوتنا في العروبة بالاقطار الاخرى، في المهاجر، الذين يعانون ويقاسون وبعضهم مضلل يمشي في طريق خاطئة وبعضهم يائس، فالمطلوب اذن ان تكون عندكم موازنة، ان تعيشوا عيشة النضال حتى تستطيعوا التأثير في غيركم، ان لا تنسيكم الانجازات التي حققتها تجربة حزبكم هنا الحرمان الذي تعاني منه الجماهير العربية الواسعة في اقطار عدة محرومة مقهورة، ان لا تنسوا فلسطين في كل عمل، وفي كل حركة، وفي كل يوم من ايام عملكم، واخيراً لقد تكلمت عن المغزى الكبير لاستشهاد الاستاذ صلاح البيطار وعماء يلقيه هذا الحدث على حياة هذا الشهيد وعلى تاريخ البعث من نور، ومن مجد، وهو ايضا يلقي على النظام الذي امتدت يده الائمة الى حياة هذا المناضل، يلقي على هذا النظام الوصمة الاخيرة بعد كل الجرائم التي ارتكبتها والتي وصم ودمغ بها. هذا برهان اخير على ان هذه الطغمة غريبة كل الغريبة عن هذا الاسم الذي تدعيه، تتحلله، اسم البعث، ليس لانها اغتالت الاستاذ صلاح البيطار فحسب بل لانها تغتال الشعب كل يوم، ولم تقدم على اغتيال الاستاذ صلاح الا لانه فضحها بكتاباتهِ وانتصر للشعب المقهور، ووضع وزنه لكي يحارب التعقيم المقصود على جرائم هذا النظام، فكان خوف النظام وهلعته من مقالين، مقالين في جريدة، واقدم على هذه الجريمة، الذين يقدمون على هذه الجريمة لا يمكن ان تكون لهم اية صلة بحزب البعث، والذين يقومون بمذابح جماعية للشعب في سوريا لا يمكن ان يتسبوا بقليل او كثير الى حزب البعث، حزب البعث وجد من اجل الشعب، لخدمة الشعب، فكيف يتحول الى جلال للشعب؟ فنحن امام شيء جديد بعد استشهاد الاستاذ صلاح، هذا شيء كبير يمكن ان تسلحوا به لتعروا هذا النظام في اوساط الطلبة العرب، ولتظهروا الفرق بين البعث في العراق والتفاف الشعب حوله ومحبة الشعب له، وبين تلك العصاة التي تصر على الاستمرار في السلطة، واستغلال السلطة ولو على اشلاء كل الشعب، ويحركها

الحقد، وتحركها الشهوات الحقيرة، يجب أن نبدأ بداية جديدة، لا يجوز ان يذهب دم الشهيد بلا ثمن، بل يجب أن نجعل من هذه الشهادة بداية للخلاص، خلاص شعب سوريا العربي من محنته واسترداد القطر السوري بكل ما يمثل من أهمية قومية ومن دور أساسي بالنسبة للقضية القومية عامة، يجب ان نسترد سوريا ولكن ليس ضروريا ان يأتي الحزب ليحكم في سوريا مباشرة بل المهم انقاذ سوريا من هذه العصابة وارجاع سوريا الى الوضع السوي، الى الحرية، الى الديمقراطية، الى أبنائها ليتفقوا ويتصرفوا بمصير بلدهم، ولن يكون تصرفهم الا وطنيا وقوميا، هذا ما احملكم اياه كواجب وأمانة، لكي تضعوه في رأس مهامكم النضالية ولكي تظهروا من خلال طرحكم لهذا الموضوع الحيوي الى أي حد تردت الاوضاع العربية، والى أي حد التبست المفاهيم، والى أي حد أصبحت القضية العربية والمصير العربي العوبة بيد الدول العظمى فهذا النظام المجرم يسمى تقدما ويحظى بتأييد المعسكر الاشتراكي، وأي اشتراكية هذه، وأي تقدمية ترضى عن ذبح الشعب . .

فنحن امامنا مهام كثيرة وعندما نقوم بواجبنا النضالي سنجد اننا ادينا في آن واحد خدمات عديدة وبلغنا أهدافا متعددة وصححنا مفاهيم عربية ودولية في نفس الوقت الذي نصصح فيه أوضاع القطر السوري العزيز على كل عربي .

أتمنى لكم التوفيق في عملكم وانا واثق ومؤمن بانكم ستعملون بروح جديدة وبعزم مضاعف لان تجربة حزبكم هنا بلغت حدا كبيرا من التآلق نتيجة التفاعل العميق مع الشعب، هذا لا بد ان يمدكم بروح مؤمنة متفائلة، ومن جهة اخرى الآلام القاسية التي تحل بالعديد من اقطارنا وبالملايين من جماهير امتنا وهذه أيضا محرك ومحرك قوي لكي يعود البعثي الى اصالته ويشعر بلذة النضال، وبانه يصنع التاريخ ويصنع الغد المشرق لامته والسلام عليكم .

٣ آب ١٩٨٠